كتاب عجائب البلدان

الباب الأول: في عجائب التاريخ.

الباب الثاني: في عجائب الأرض.

الباب الثالث: في عجائب المدن الستة التي ببابل.

الباب الرابع: في خاصية البلدان.

الباب الخامس: في عجائب الدنيا.

الباب السادس: في عجائب البحر.

الباب السابع: في عجائب الأنهار.

الباب الثامن: في عجائب الدنيا من الحيوانات.

الباب التاسع: في عجائب الأحجار.

الباب العاشر: في الملاحم.

الباب الحادي عشر: في المعراج.

الباب الثاني عشر: في عجائب قضاء الله.

الباب الثالث عشر: في فتح المدن.

الباب الرابع عشر: في خراب البلاد.

الباب الأول

في عجائب التاريخ

قال عبد الملك بن عمر الليثي: رأيت رأس الحسين بن علي - رضي اللّه عنهما - بالكوفة في دار الإمارة بين يدي عبيد اللّه بن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير - رضي اللّه تعالى عنهما - ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان.

أعجوبة أخرى: قال الصولي: لما ولي المعتز لم تمض مدة حتى أُخرج في نطع والمنادي ينادي: اشهدوا أنه مات حتف أنفه وما به جراحة، ثم مضت مدة مديدة، وأخرج المهدي والمنادي ينادي: اشهدوا أنه مات حتف أنفه وليس به جراحة، فتعجب الناس من لحاق بعضهم بعضا في مدة يسيرة.

أعجوبة أخرى: بعث المعتصم بأتباح إلى الأفشين، وقال: قل له يا عدو اللّه فعلت كذا وكذا، فلما بلغه الرسالة، قال: يا أبا منصور قد ذهبت بمثل هذه الرسالة إلى عجيف بن عنبسة، فقال عجيف: يا أبا الحسن، قد ذهبت بمثلها إلى علي بن هشام، فقال لي علي: قد ذهبت بمثلها إلى فلان، فقال لي: انظر من يأتيك بمثلها، فما مضى إلا أيام حتى حبس أتباح وقتل.

أعجوبة أخرى: لما اشتدت علة الواثق باللّه دخل إسحاق عليه فنظر هل مات أم لا، فنظر الواثق إليه بمؤخر عينه، ففزع إسحاق ورجع القهقرى إلى أن وقع سيفه فيما بين الباب واندق وسط إسحاق هيبة له، فلم تمض ساعة حتى توفي، فعزل في بيت ليغسل، فجاء جرذ[1] وأكل عينه التي نظر بها إلى إسحاق، فكثر التعجب في ذلك.

---

(١) الجرذ: ضرب من الفأر. "القاموس المحيط".

أعجوبة أخرى: مروان بن محمد الحمار آخر خليفة في بني أُمية عرض بظهر الكوفة سبعين ألف عربي على سبعين ألف عربية، فلما انقضت المدة لم تنفع العُدَّة[1]؛ قيل: وجيء برأسه إلى عبد اللّه بن علي فوضع في بيت، فجاءت هرة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال الناس: لو لم نر إلا هذه من عجائب الدهر لكفى.

أعجوبة أخرى: في الأعمار، عاش النبي ﷺ ثلاثا وستين سنة، وأبو بكر وعمر مثله، والمأمون ثمانية وأربعين سنة، والمعتصم مثله، وعبد اللّه بن طاهر مثله. ولد النبي ﷺ يوم الاثنين وأنزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.

أعجوبة أخرى: قال الصولي: كان الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الخلفاء لابد أن يخلع، فرسول اللّه ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن - رضي اللّه عنهم - فخلع ثم ولي معاوية ثم يزيد ثم معاوية بن يزيد ثم مروان ثم عبد الملك ثم الوليد بن يزيد فخلع وقتل؛ ثم الدولة العباسية الأول السفاح ثم المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين وهو السادس خلع وقتل، ثم المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل ثم المنتصر ثم المستعين وهو السادس فخلع وقتل، ثم ولي المعتز ثم المهدي ثم المعتمد ثم المكتفي ثم المقتدر خلع مرة في فتنة ابن المعتز ثم رد ثم قتل، ثم ولي القائم ثم الراضي ثم المكتفي ثم المطيع ثم الطائع فخلع، وهذا من عجائب الدنيا.

أعجوبة أخرى: العباس بن عمرو الغنوي أنفذه المعتضد في عشرة آلاف لمحاربة أبي سعيد الجنابي، فقبض عليهم أبو سعيد بَهَجَرَ فنجا العباس وحده، وقتل الباقون، وعمر بن الليث مر في خمسين ألفا إلى حرب إسماعيل بن أحمد فأخذ هو، ونجا الباقون.

---

(١) أي: لم تنفعه هذه الحشود التي جندها لما وافته المنية.

أعجوبة أخرى: عبر ألب أرسلان جيحون في أربعمائة ألف فارس فقتل هو وحده، وعاد الباقون.

الباب الثاني

في عجائب الأرض

قال الأوزاعي: رأيت بأرض بيروت عجائب ثلاثة، الأولى: رجل من جراد، وإذا رجل راكب على جرادة وعليه خفان أحمران وفي يده قضيب، وهو يقول: الدنيا باطل ما فيها إلا ما هو للّه، ولا تسير الجرادة إلى موضع إلا الذي يشير إليه. والثانية: رجل كان عندنا يتعاطى الصيد، وله بغلة دهماء يصطاد عليها، فخرج يوم جمعة، فقيل له: ويحك! يوم الجمعة يوم عيد وراحة، فخالف وخرج[1]، فخسف به، فرأيت أذني بغلته في الأرض. والثالثة: رأيت شابا يلزم المسجد فأحببت أن أسأله من أين تكون معيشته، فجئت فرأيته يصلي في المسجد حتى صلى العشاء ثم خرج، فتبعته فجاء إلى باب المدينة وقد أغلق فانفتح له فخرج، فإذا معه شجرة بلوط فجعل يأكل منها فقلت: السلام عليكم، فقال لي: وعليكم السلام، فقال لي: أبو عمرو؟! فقلت: نعم، فقال لي: هاك ثم رمى لي رطبا ثم مر فلم أره.

---

(١) ويظهر منه أن خرج تاركًا لصلاة الجمعة، وربما أنكر بقلبه وجوب الجمعة فكفر بربه، فكان عاقبته هذه – أعاذنا الله من الخزي والخسران.

الباب الثالث

في عجائب المدن الستة التي ببابل

الأولى: حوض إذا أراد الملك يجمعهم لطعامه أتى من أحب منهم بما أحب من الأشربة، فصب في الحوض فيختلط جميعا، ثم يتقدم صاحب السقاية فيأخذ الأواني، فمن صب من إنائه شيئا في الحوض جاء شرابه الذي جاء به.

الثانية: طبل إذا غاب من العشيرة غائب وأرادوا أن يعرفوا حاله، أحي هو أم ميت ضربوا الطبل، فإن كان حيا صوت الطبل، وإن كان ميتا لم يصوت.

الثالثة: مرآة من حديد فإذا غاب الرجل في مكان وأرادوا أن يطموا مكانه وكيف هو نظروا فيها فأبصروه؛ وعرفوا الذي هو عليه[1].

الرابعة: أوزة من نحاس إذا دخل غريب المدينة صوتت الأوزة صوتا يسمع ذلك الصوت جميع أهل المدينة، فيعلمون أن قد دخلها غريب.

الخامسة: قاضيان جالسان على الماء، فيجيء صاحب الحق والباطل فيمشي صاحب الحق على الماء حتى يجلس بين يدي القاضيين، وأما المبطل فيتعوق.

السادسة: شجرة كبيرة ضخمة لا يصل إلى ساقها أحد، فإذا جلس تحتها أحد وأحد إلى ألف أظلتهم، فإذا زاد واحد على الألف جلسوا كلهم في الشمس، وقيل: في أرض الروم كنيسة وفيها بيت يدخل فيها إلى أسفل بعشرين درجة، وفي البيت سرير، وتحت السرير رجل ميت على نطع وصبي ميت على نطع آخر، وإلى فوق التخت بقرة معمولة من الرخام، وفي بطن البقرة قدح من الرخام فيه

---

(١) لعلهم يستعينون فيها بالجن فيبحث عن الغائب ثم يتصور لهم بصورته في المرآة ويصوِّر لهم مكانه. ولا عجب فيه فإن الجن من شأنه هذا، وقصة عفريت الجن، والذي جاء بعرض بلقيس لسيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أزكى صلاة وسلام قصته في القرآن، ومقدورات الجن متفاوتة بحسب ما أراد الله لها ومكنها منه مع العلم أنها أضعف بكثير من الإنس...

زيت، يشتعل ويؤخذ منه الزيت، فإذا أخرج الميت من تحت السرير انطفأت تلك البقرة، وإذا شكّت المرأة هي حامل أم لا تدخل البيت وتضع الصبي في حجرها فإن تحرك الصبي علمت أنها حامل وإلا فلا[١].

وفي البادية على طريق الشام شجرة تترامى جمرات النار من أغصانها بالليل، فإذا أخذ منها ورقة واحدة تنكتم. وفي بلاد الهند شجرة يأوي إليها الببغاء، فإذا غرس أحد فيها سكينا أو مسمارا ينصب فيه دم الآدمي. وفي بارجين رحاية لها حجران كبيران عظيمان، فإذا وضع الإنسان الحب ودورها يخرج منها دقيق منخول. وفي كرمان شجرة تدعى دارى ورقها مثل آذان الفيل من شمها رَعَفَ في الحال، وأما شجرة البلبل فهي من الأعاجيب أوراقها متوحشة بها فإذا جاء المطر تلتحف الأوراق بالشجرة، ولا يصل إليها من المطر شيء.

وفي بيعة مصر[٢] ديك معمول من الذهب معلق وفي منقاره فتيلة وتحت الديك قناديل معلقة أيضا، كلما انطفأت تلك القناديل يصوت الديك صوتا قويا، فتشتعل تلك القناديل ولا يدري كيفية ذلك أحد. ودير في حد قسطنطينية فيه بيت من حجر، وعلى جداره صورة الرجال والنساء والبهائم، وكل من مرض يضع يده على تلك الصورة، فإن كان المريض رجلا فيضع يده على صورة الرجل، والأنثى على الأنثى والبهيمة إذا كانت موجوعة يضع صاحبها يده على صورة البهيمة ويمسح بها البهيمة الموجوعة، فتبرأ بإذن الله تعالى[٣].

وبالهند شجرة تدعى عواكس ثمرها من جهة المشرق حلو لذيذ، ومن جهة

---

(١) وهذا يحصل بعلم الحروف والأوفاق وقد يحصل باستعمال الكيمياء أو الهندسة، وذكر شيئًا من هذا العلامة الشيخ عبد الرحمن البسطامي في كتابه "الفواتح المسكية والفواتح المكية" طبع بالمكتبة الأزهرية للتراث، وذكر رجوع بعض منها لعلم الحروف، وبعضها للهندسة والكيمياء.

(٢) يعني في كنيسة مصر.

(٣) لعل بها شيئا من آثار الأنبياء السابقين عليهم السلام التي يتبرك بها ويستشفي بها.

المغرب مر خبيث، وكل طائر يطير جاء إليها وأكل منها ثمرة لابد أن يأكل اثنين وعشرين ثمرة ولو كان عصفورا، وفي رواية ثلاثة وثلاثين، ويؤخذ منه العسل ويفتح القولنج.

وفي بلاد الأرمينية بالروم ميزاب وتحته حوض، فإذا لم يجئ المطر في الساعة التي يحتاج الإنسان فيها، وإلا تهتز أركان الحوض فيجيء المطر لوقته، وفي ديار الترك عود مصنوع كل من تخلل به تألمت أسنانه فإن بادر وحرق العود ذهب الألم، وإن لم يبادر مكث الألم ثم يعود العود بعد حرقه. وحجر في ديار المغرب على صورة الفأرة فكل من وضع ذلك الحجر في بيته تزاحمت الفيران التي في البيت عليه حتى يحل بهم القبض.

وفي حد باسان خربة كل من بات فيها تجيء إليه امرأة ولا يعرفها وتضربه وتلكزه، ولا يظهر من هو يعرفه، ولا تمكّنه أن يلبث. وجبل في ديار كرمان من أخذ منه حجرا أو شقفة وشقه نصفين يرى في جوفه صورة آدمي جالسا أو قائما، فإن طحن بالماء فالماء يتجمد على صورة آدمي. وفي اليمن حجر يجري الماء من فوقه إلى أسفله ويتحجر في الطريق، فالشب اليماني منه. وفي طبرستان جبل يقطر منه الماء تصير كل قطرة قطرت منه حجرا صغيرا أبيض بين مسدس أو مثمن.

وفي ديار قزوين جبل يقطر منه ماء يسمى هوفان، فإذا صيح عليه بالهيبة ينقطع الماء، فإن كرر عليه الصيحة يجري الماء على هذا النسق لا يعلم ذلك إلا اللّه سبحانه وتعالى.

وحوض في أرض مصر يجري ماؤه، فإذا دخل فيه جنب أو حائض ينقطع الماء حتى يغسل الحوض وينقى. وفي جبل الطير بأرض الصعيد ثقب، كل سنة تجيء إليه طيور لا تحصى ويدخلن رؤوسهن في ذلك الثقب ويخرجن حتى إذا

انحبس رأس أحد الطيور فتطير الباقيات إلى السنة القابلة في ذلك اليوم.

وفي أرض الأندلس غار تشتعل فيه النار، فكل من أراد يشعل فتيلة يجعلها على رأس خشبة ويقرب إليه ويشعل، وقيل: إن بابا من أبواب جهنم مفتوح إلى الأندلس، وفي جبله عينان: حارّة بحيث تحرق، وباردة بحيث لا يشرب منها شربة واحدة.

وفي ديار الترك بناحية نخبة عين يفور ماؤها، ويتصعد إلى السماء مثل النشاب من القوس.

وفي رستاق تركستان عين يجيء من باطنها ماء عظيم وشعر رأس الآدمي[١] وفيها عين إن مر فوقها طائر يقع فيها فيموت.

وفي ديار تركستان جبل، وفي الجبل بيت كل حيوان يدخل فيه يموت.

وقرأت من مفيد العلوم[٢] أن الثلج يتراكم بتركستان أربعين ذراعا. وفي بلاد جيلان جبل يجيء منه الأحجار على هيئة السهام الحداد. وفي جبل شكران منارة موضوعة على رأس الجبل في كل سنة ثلاث مرات ترى مشتعلة بإذن اللّه عز وجل. وفي حدود سمرقند جبل يقطر منه ماء يتجمد في الصيف، وفي الشتاء يكون حارا يحرق الأيدي. وفي قرية سلارم عين تجمد كل سنة يوما مثل الثلج، ولا يدرى سبب ذلك[٣]. وفي دامغان عين جارية من طرح فيها قذرا تنبعث رياح عظيمة بحيث يخشى أن تحرق البلد، فما لم تنظف العين لا يسكن. وفي ديار

---

(١) لعل المعنى: يجدون شعر الآدمي في هذا الماء يجري بجرياته.

(٢) أي: من العلوم المفيدة، وليس المقصود أنه قرأ في هذا المؤلَّف الذي هو وضعه بيده!

(٣) وهذه آيات لله تعالى في كونه حتى يؤمن به المؤمنون ويتعجبون لعظيم صنعه وبديع خلقه، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تظهرون. وعلى العلماء والباحثين كل في مجاله أن يدرس هذه الظواهر والآيات وأماكن وجودها، ليتوصل منها إلى ما يفيد الإنسان الذي هو خليفة في الأرض.

الترك بناحية بكور يكون في جبالهم الذهب، فمن أخذ قطعة صغيرة سلم، ومن أخذ قطعة كبيرة إلى بيته يموت ويقع الوباء فيه، وإن أخذه غريب سلم من الوباء. وفي قرب البصرة جبل يصعد منه بخار متى وصل إلى آدمي يقتله. وفيه غار يخرج منه نار وعظام الموتى تنثال من الغار، ثم تذهب إلى الغار ولا يدري أحد بذلك. وفي جبل دماوند بئر عظيم يفور منه الدخان بالنهار، وبالليل النار، والناس يأخذون من تلك النار لأجل صنعة الكيمياء.

ورُئِيَ في جبال فرغانة أحجار على صورة الآدمي لا يدري ما ذلك. ونبت في جبل طبرستان يدعى كورمائل فمن استحصده ضاحكا فكل من أكله يقع عليه الضحك بحيث يغشى عليه من الضحك، وإن استحصده باكيا وأكله يأخذه الرقص بحيث لا يتمالك نفسه. وبحوالي بيت المقدس بيت يتعبد فيه العباد والغرباء، فإذا أقبل الليل يستضيء البيت بحيث يظن أن فيه شموعا مشتعلة.

الباب الرابع
في خاصية البلدان

من دخل بلد تِنِّيس يكون جذلانا فرحا ما دام ضحوكا من غير سبب، ومن أقام في الموصل سنة تزداد قوته، ومن أقام بأهواز سنة ينقص عقله ورأيه، وكل طيب يعجن في أنطاكية وأهواز ينتن بعد شهرين ويفسد بحيث لا يصلح لشيء، ومن دخل بلاد الزنج تدعوه نفسه إلى الحرب، واتخاذ السلاح، ومن صام في مصيصة في الصيف يصيبه الجنون والعلل، ومن أقام في البحرين يربو طحاله. ومن دخل مدينة رسول اللّه ﷺ يشم رائحة طيبة شهية. ومن أقام بشيراز يطيب عيشه عند جماع النساء واسترخاء المفاصل.

وفي ديار الهند بلدة كل غريب يدخلها لا يمكنه الجماع فيها البتة. وبجيلان بلدة في كل سنة يجتمع عليهم الصيود بحيث تزدحم عليهم الأبواب والسطوح. ومن استوطن بغداد يجترئ على الإنفاق ويطيب قلبه، وإن كان بخيلا صار سخيا، وحال

أصفهان بخلاف ذلك يخاف على النفقة، وإن كان سخيا يصير بخيلا، وخاصية بلاد خراسان أن يغلب على ذكورهم وإناثهم الشَّبَق[١] بحيث لا يتمالكن أنفسهن.

الباب الخامس

في عجائب الدنيا

حيوان السمندل يدخل النار ويخرج ولا يحترق. وفي نواحي كرمان عود متى وضع على النار لا يحترق، ويعمل من لحى هذه الشجرة المناديل والمآزر ومتى استقذرت طرحت في النار فابيضت. ومنها حلقة كوكدن بها حيوان مثل الفيل، وفي ظهره أربعة بثور مثل الأعمدة، وله قرن واحد، ورأس القرن أحدّ من السيف والإبرة، فيضرب الفيل ويرفعه بقرنه ثم يضرب به الأرض، ويلد هذا الحيوان في أربع سنين. وأعجب من هذا طائر يتخذ وكره على شجر الكافور فتقصده الحيات، فيطير الحيوان مخافة الحية، فتظفر بالبيض ويضرب نفسه على رأس الحية حتى يقلع عينيها وتموت الحية ثم يجيء إلى موضعه. وأعجب من هذا أن النعامة تبتلع الجمرات من النار.

وفي حدود تلوا أناس وحشية يدعون بنسناس فإذا قتل منهم واحد تخرب تلك القرية أو البلدة، وإن غرق واحد منهم في الماء يجيء قرينه وينوح عليه أربعين ليلة على شاطئ النهر، وفي هذا الموضع ثعبان يصعد الأشجار ويأكل الأثمار.

وفي بلاد الهند شجرة أوراقها على صورة الآدمي ويسمع منها أصوات كأصوات الآدمي، وفي البادية فأرة متى أحست بطعام تمر إليه وتنظر فيه، فيصير الطعام سمًا، فمن أكل منه يموت في الحال. ومن أعجب الأشياء أن النمر إذا كبر وضعف عن الصيد ترحمه أولاده فيصيدون كلبا ويطرحونه إليه، وقيل: إن الضبع

---

(١) الشبق: شدة الغُلْمة للجماع أي: الشهوة.

يكون سنة ذكرا وسنة أنثى[١]، ومتى وقع ظله في ليلة قمر على ظل الكلب يتجمد في الموضع. ومن كان معه لسان الضبع يفر منه الكلب.

وفي طبرستان تكون السلحفاة في الماء والضفادع في الأشجار. ومن عجائب الدنيا أن الكَلْب الكَلِب[٢] وهو المجنون إذا عض إنسانا يصير مدهوشا مجنونا حتى إذا بال الكلب على الأرض يرى صورة الكلب، ولا يطيق أن يشرب الماء يظن أن فيه خرء الكلب، ويموت الرجل إلا أن يعالج بخواص ذلك، وكذا الكلب لا يشرب الماء حتى يموت. وفي بحر البصرة سمك يدعى سلاني متى صيد يعيش يومين أو ثلاثة على الأرض ثم يموت، وإن جعل في قِدْرٍ وأميل رأس القدر يطير السمك من القدر. ومن عجائبها الجَزْر والمَدّ إذا طلع القمر يجيء المد، وإذا بلغ حد المغرب تراجع البحر.

الباب السادس

في عجائب البحر

وفي بحر سلاهة جزيرة فيها طير متى ضلت السفينة أو أخطأ الملاحون فيجيء هذا الطير، ويهدي السبيل، ويصيح بالسفر والناس، ويهتدون به، وفي بحر قيسون سمك متى رفع من البحر ووقع على الأرض يتحجر، وفي بحر المغرب جزيرة فيها ماء كثيف لا تجري فيه السفن لكثافته وغلظه، وفي بحر حبر أناس يجيء مع كل واحد لؤلؤة فيدفعون إلى التجار ويأخذون منهم الحديد، ويذهبون ولا يعرف أحد من أين جاءوا وأين ذهبوا، وفي بحر البصرة سمك متى صيد وجف

---

(١) وهذا أيضا قيل يحصل في الأرانب، ذكر ذلك ابن حجة الحموي في كتابه "بلوغ المراد من علم الحيوان والنبات والجماد" تحقيق د/ عبد الحميد حمدان – طبع بالمكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) أي: المسعور المصاب بالسعار.

يكون مثل القطن، ونساء تلك الناحية يتخذون منه الغزل والثياب السميكة.

وفي بحر الهند ثلاث جزائر متجاورة من جزيرة إلى جزيرة مسيرة سنة يجيء من الأولى الثلج في كل ليلة، ومن الثانية المطر، ومن الثالثة الريح، وإذا اضطرب بحر سرنديب فينظر الملاح في طاس ماء فإن رأى فيها وجهه يقول: لا تخافوا، وإن لم يره يقول: ألقوا المتاع وخذوا حذركم، وفي حد الهند جزيرة عشر فراسخ[1]، وفيها عين يخرج منها حيوانات وجوارٍ أعلاهن كهيئة الآدمي وأسفلهن كهيئة الحيوان، فيلعبن ويرقصن والناس ينظرون إليهن في الليلة المقمرة، ولا يكون في بحور الدنيا أناس سوى هذا البحر، وقيل: إن الخضر بن عاميل قال لأصحابه أدلوني في بحر الصين فأدلوه يوما وليلة ثم صعد، فقيل له: ما رأيت؟ فقال: استقبلني ملك من الملائكة فقال: أيها الآدمي الخطاء من أين؟ وإلى أين؟ فقلت: أردت أن أنظر إلى عمق هذا البحر، فقال لي: وكيف وهذا رجل قد رمي في البحر منذ ثلاثمائة سنة ولم يبلغ قعره؟

الباب السابع

في عجائب الأنهار

في أذربيجان نهرٌ جارٍ إذا جرى قليلا يتحجر ويتجمد صحيفة صحيفة. وفي نهر بيل موضع في كل سنة يزدحم فيه السمك بحيث يقبض بالأيدي، وإذا غربت الشمس لا يقدر على واحدة، وفي حد اليمن نهر إذا طلع الصبح يجري من المشرق إلى المغرب، وإذا غربت الشمس يجري من المغرب إلى المشرق، وعين في نهاوند يذهب الرجل إليها ويصيح أنا محتاج إلى الماء، فيجري الماء بإذن الله عز وجل، والتمساح إذا خرج من النيل فينام على الأرض ويفتح فاه فيجيء طير يسمى

(١) الفرسخ: (٥٥٦٥) مترًا، أي العشرة تعادل (٥٥٦٥٠) مترًا.

الطيطوي ويدخل في فمه وينظفه من الدود، أبد الدهر أرزاق تلك الطيور من ذلك.

وفي المغرب موضع يتولد من الطين والماء منه الفأرة. وفي دامغان عين من شرب منه يطلق بطنه[١] فإذا حمل ونقل من موضعه يتحجر، وإن احتاجوا إلى الريح وقت الدياس[٢] ألقوا خرقة حيض في العين فتهيج الريح، وبحد العراق عين يأوي إليها العباد وكل من به مرض أو ألم يشرب من مائها يبرأ من المرض، وفي أرض سقلاب نهر في كل سبت يجري ماؤه ثم يجف في الباقي، وفي حد أرض الأندلس نهر عظيم لا يعبر به الفارس والراجل إلا يوم السبت، وعلى طريق النهر صنم معمول مكتوب على صدره من عبر ورأى لا يرجع. وفي حد الموصل قرية فيها رحى آلاتها من الحجر، فإذا أرادوا أن يطرحوا الغلة يقولون: بحق يونس إلا وقفت فيقف الحجر. وفي رستاق الطبرية نهر جار نصف مائه حار، ونصفه بارد.

وبحد كرمان نهر عليه جسر من الحجر، فكل من يعبر عليه يتقيأ ولو كانوا عشرة آلاف رجل. وبطوس عين من اغتسل بمائها تأخذه الحمى في الحال. وفي نهر كر سمك يدعى طريحا من أكل من ذلك السمك يعمى، وبين البصرة والأهواز نهر في كل وقت يعلو الماء على قدر منارة، ويسمع من جوف الماء الصياح وصوت الطبل والبوق، ولا يدري أحد ما ذلك.

---

(١) أي: يصيبه الإسهال.

(٢) الدياس: الوطء بالرّجل أي: المشي. "القاموس المحيط".

الباب الثامن

في عجائب الدنيا من الحيوانات

إن الحيوان يعرف دواء علة نفسه بإلهام اللّه سبحانه، فالأسـد إذا مـرض يطلب قردا ويأكله فيبرأ، والكلب إذا مرض يأكل ورق النَّبْل فيبرأ، والخنزيـر إذا مرض يطلب السرطان البحري ويأكله فيبرأ، والجمل إذا مرض يأكل ورق البلوط، والضبع إذا مرض يأكل نجاسة الكلب فيبرأ. الببرا إذا مرض يأكل الكلـب فيبـرأ، والدب إذا مرض يأكل النمل فيبرأ، والذئب إذا مرض يأكل التراب فيبرأ، والفهد إذا مرض يأكل الدم فيبرأ. والنمر إذا مرض يأكل الفأرة فيبرأ، والأرنـب إذا مـرض يأكل ورق القصب فيبرأ، والثعلب إذا مرض يأكل ورق القـصب البـري فيبـرأ، والغراب إذا مرض يأكل الشعير فيبرأ، والنسر إذا مرض يطلب مـرارة الآدمـي فيبرأ، والجراد إذا مرض يطلب اليربوع فيبرأ، والهدهد إذا مرض يأكـل عقـرب الجبل فيبرأ، والحمام الوحشي يأكل الجراد فيبـرأ، والهـرة إذا مرضـت تأكـل الحشيش فتبرأ بإذن اللّه عز وجل.

الباب التاسع

في عجائب الأحجار

حجر المغناطيس يجذب الحديد إلى نفسه، فإذا طلي بالثوم لا يجـذب، فـإذا غسل بالخل عمل عمله، وحجر النوم من استصحبه لا ينام، وحجر المطـر متـى سحق أحدهما بالآخر تمطر السماء، وهذا الحجر في ديار الترك. وحجـر بـديار مصر من أخذه بيده يقع عليه القيء فلا يزال يتقيّأ حتى يخشى عليه الهلاك، فمـا

لم يطرحه لا يسكن. وحجر آخر إذا علق على المصروع برئ، وحجر آخر متى وضع على رأس التَّنُّور[١] فكل خبز فيه يتناثر، وحجر بديار مصر من علقه على ظهره يجامع كيف شاء وأي عدد شاء، وحجر الشب من وضعه تحت الوسادة يذهب فزع القلب، وحجر اليرقان إذا علق على صاحب اليرقان يصححه، وحجر الجزع إذا وضع بين يدي المرأة في حالة الطلق يسكن وجعها، وحجر البلّور إذا قوبل به الشمس ومن الجانب الآخر قطن أو ثوب يقع فيه النار ويحترق، وحجر اليَشَم والأتراك يكرمون هذا الحجر، ويقولون: إنه مبارك، ويتخذون منه أنواع الحلى، ومن كان معه حجر اليشم يكون آمنا من الطل ومن وجع المعدة، وحجر حمست من صحبه يكون آمنا من عين السوء، ومتى طرح هذا الحجر في جُبٍّ أو طاس فيه خمر لا يسكر البتة، وحجر سفيلا يعلقه المستسقي على نفسه فيجذب الماء إلى نفسه، واللّه تعالى أعلم.

الباب العاشر

في الملاحم

اعلم أن الملاحم في هذه الأمة خمسة: أولها ملحمة رسول اللّه ﷺ وظهوره على العرب والعجم، وقتل كل مخالف لدينه إلا من فدى نفسه واشتراها بماله، وأخذ المال نوع من الذلة والصغار. والملحمة الثانية: قتال أصحاب الجمل وصفين وظهور بني أمية على الطالبية حتى بلغ عدة القتلى في المعترك مائة ألف وأربعة وتسعين ألف رجل. والملحمة الثالثة: ظهور مسلمة بن عبد الملك على الروم حين دخل قسطنطينية، وظهور بني العباس على المروانية حتى بلغ عدة من قتل في ذلك الهرج مائة ألف وأربعة وعشرون ألف رجل. والملحمة الرابعة: خروج أبي

---

(١) أي: الفرن.

مسلم صاحب الدولة وعبد اللّه السفاح سمي سفاحا لكثر سفح الدماء، فبلغ عدة قتلاهم ثمانين ألفا. والملحمة الخامسة: وهي كائنة لم تظهر وتكون في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر، وجميع غزوات النبي ﷺ مذ[1] بعثه اللّه سبحانه إلى أن قبضه ست وثلاثون غزوة، وجميع ما غزا بنفسه ست وعشرون غزوة قاتل في تسع غزوات أولها: غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة وبني المصطلق وحنين وخيبر والفتح والطائف، ويقال للسلطان: ظل اللّه، والحُجّاج: وفد اللّه، والأبدال: أوتاد اللّه[2]، والعلماء: نصحاء اللّه، والتجار: أمناء اللّه، وأهل القرآن: أهل اللّه، والغزاة: جنود اللّه، والفقراء: أحباب اللّه عز وجل.

الباب الحادي عشر

في المعراج

قال النبي ﷺ: «لما أسرى بي إلى السماء السابعة ورفعت لي مدائن الشرق والغرب رأيت مدينة محفوفة بالرحمة، قلت: يا جبريل ما هذه المدينة؟ قال: الروحاء يا محمد، قلت: وما الروحاء؟ قال: باب من أبواب الجنة تسميه أهل خراسان أفراوه، قلت: لماذا فضلت؟ قال: يكون لهم عدوّ يقال لهم التتر شديد غلبهم قليل سَلَبهم[3] الشهيد في أيديهم من أمتك له ثواب سبعين بدريا قال: وأقام قُدَّامِي عَلَماً حوله أعلام سود قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا رباط بدسجان قلت: فما فضله؟ قال: من صلى فيه ركعتين فكأنما صلى بين الركن والمقام مع إبراهيم الخليل عليه السلام سبعين صلاة وقال: ألا إن المقتول بأرض بدسجان أفضل من

---

(١) يقال في لغة العرب: (مُذْ)، و(منذ) بمعنى واحد.

(٢) الأبدال: هم طائفة من الأولياء. قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم فيه ولايته. القاموس الصوفي – د/ عبد الحميد حمدان – ط الأزهرية – ص ٩.

(٣) أي: ما يؤخذ منهم حال القتال، فلا يؤخذ منه هذا السَّلَب إلا قليلا لمنعتهم وقوتهم.

الغازي، وإن الصلاة فيها بأربعة آلاف ألف، وإن للجنة بابا مفتوحا بأرض بخارى وبابا مفردا بدسجان، ورأيت قصرا من درّة بيضاء يأوي إليه الطيور فقلت: لمن هذا القصر؟ قال: يأوي إليه أرواح الشهداء ويأتي زمان يفتح اللّه لأمتك كَوَرَةً[١] يقال لها جرجان يسلط اللّه عليهم عدوا صغار الأعين كأن وجوههم المَجَانُّ المطرقة، وبقربها باب من أبواب الجنة قلت: ما هذه؟ فقال: سور يقال له دهستان يحشر اللّه فيها سبعين ألف شهيد للشهيد فيها أجر سبعين شهيدا فطوبى، لمن بنى بها دارا أو رباطا أو رابط بها يوما، وطوبى لمن صلى وصام».

وقال ﷺ: «أربع محفوظات، وسبع ملعونات، فالمحفوظات مكة والمدينة وبيت المقدس والبحران، وأما الملعونات فبردة وصعدة ويافث وطهر وملك وجيلان وعدن؛ وقال: نهران مؤمنان، ونهران كافران، وأربع مدائن من الجنة، وأربعة قصور من الجنة في الدنيا، فالمدائن التي من الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس وقزوين، والإسكندرية، وعسقلان، وملطية، ومسجد الكوفة قبة الإسلام[٢]، وفيها فار التنور، قالوا: أخبرنا عن الأربعة الأنهار التي من الجنة في الدنيا قال: سيحان وجيحان والنيل والفرات، والبابان المفتوحان من الجنة في الدنيا: مدينة قزوين ومطلع الشمس عند نهر جيحون، يقوم يوم القيامة على حافتيه سبعون ألف شهيد لو أن كل شهيد طلب شفاعة من ربه شفع في سبعين ألفا»[٣].

قال النبي ﷺ لبريدة الأسلمي: «إنه سيبعث من بعدي بعوث، فكن في بعث المشرق ثم في بعث خراسان ثم في بعث أرض مرو، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه بناها ذو القرنين، وصلى فيها عُزَيْر، أنهارها تجري بالبركة، على كل نقب منها مَلَكٌ شاهر سيفه يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة».

---

(١) أي: مدينة.

(٢) كأن في هذه المدن تفصيل المدن الأربع والقصور الموجودة بباقي المدن، والله أعلم.

(٣) فالمعنى: أن هؤلاء السبعين ألفا من الشهداء لهم من الفضل والمزية على غيرهم من الشهداء ما يجعلهم أهلاً لهذه الشهادة بإذن الله تعالى وبرحمته.

الباب الثاني عشر
في عجائب قضاء الله تعالى

فمنها التوسعة على الأعداء، والتقتير على الأولياء، ومنها إعطاء الجاهل وحرمان العاقل، وفي كتاب اليواقيت:[١] أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن أصعد شجرة كذا تَرَ عجبا، فصعد موسى فجاء رجل وحفر أصل الشجرة ووضع بها بدرة من الدنانير، وذهب وجاء رجل آخر وحفر تلك الحفيرة وأخذ الدنانير، فذهب بها وجاء رجل آخر وقد لحقه العي، فقعد ليستريح، فبينما هو كذلك إذ جاء واضع الدنانير فلم يجدها فتعلق بالرجل وقاتله فقتله، فتعجب موسى، وقال: يا رب ما هذه الحال؟ فقال: اعلم أن واضع الدنانير كان مديونا للآخذ فتلكأ في قضائه فسلطت عليه صاحب المال فصار دينه مقضيا، وأما المقتول فكان قد قتل أبا القاتل فقتله قصاصا، فلا يبقى عليه خصومة يوم القيامة.

الباب الثالث عشر
في فتح المدن

اعلم أن العراق من المدائن وحلوان والري وهمدان وقزوين وخراسان افتتحت في خلافة عمر ﷺ، وبعض خراسان افتتح على يد عبد الله بن عامر، وما وراء النهر افتتح بعد عثمان على يد سعيد بن عثمان صلحا، وأصفهان افتتحها أبو موسى الأشعري في خلافة عمر ﷺ، وطبرستان افتتحها سعيد بن العاص في ولاية عثمان صلحا، وطلقان ونهاوند وجرجان افتتحها يزيد بن المهلب

---

(١) اليواقيت: هي "يواقيت العلوم" للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥)هـ - خمس وخمسمائة. كشف الظنون - ج ٢، ص ٢٠٥٣.

في أيام سليمان بن عبد الملك، وكرمان وسجستان فتحها عبد الله بن عامر في خلافة عثمان، وأهواز وفارس وأصفهان افتتحها عنوة أبو موسى في خلافة عمر ﷺ، وأما الشام فافتتحه الصديق صلحا، وافتتح عمر بيت المقدس ومدن الشام كلها، ومصر فتحت صلحا على يد عمرو بن العاص، وأما المغرب فافتتحه عبد الله بن سعد بن أبي السرح، عُمان وأذربيجان افتتحها عبد الله بن عمر، وأفريقية افتتحت عنوة، وأندلس افتتحها طارق بن زياد، وأما بلاد الهند فافتتحها محمد بن القاسم الثقفي، وجزيرة العرب افتتحها النبي ﷺ.

الباب الرابع عشر

في خراب البلاد

قال الله تعالى ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الإسراء: ٥٨] قال الضحاك: من علم الله تعالى أم القرى مكة يخربها الحُبْشان، فذاك عذابهم، وأما المدينة فالجوع، وأما البصرة بالغرق، وأما أرمينية فالصواعق والرواجف، وأما خراسان فتخرب بأنواع العذاب، وأما مدينة بلخ فيغلب عليها الماء فيهلك أهلها، وأما بدسجان فأقوام يخربونها لهم روائح منتنة، ومدينة حلب فطاعون جارف، وأما الصنعانيات وأسحور فيقتلون بقتل ذريع من عدو، وأما سمرقند فيغلب عليهم بنو قنطوراء بن كركر فيقتلون أهلها، وكذا فرغانة وشاش وأسبيجاب وخوارزم فتصير المدن كلها كجيفة حمار من النتن، وأما مدينة بخارى فهي أرض الجبابرة تهلك بالعدو ثم يموتون قحطا وجوعا، ومدينة زوقالة تخرب بالرمل، وأما مدينة هراة فيمطرون الحيات تأكلهم أكلا وتقتلهم قتلا، وأما مدينة نيسابور فيصيبها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم، وأما مدينة الري فيغلب عليها الطبرية والديلمية مرة هؤلاء ومرة هؤلاء ويأسرون أهلها، وأما أرمينية وأذربيجان فبسنابك الخيول والصواعق، ويلقون من الشدة ما لا يلقى غيرهم،

وأما مدينة همدان فجيوش من ناحية الديلم يخربونها، وأما حلوان فيهلكون بهلاك الزوراء، وتمر بها ريح ساكنة وأهلها نيام فيصبحون قردة وخنازير، وأما الكوفان فيقصدها عنبسة بن سفيان فيخربها ويأخذ جارية شابة من آل علي بن أبي طالب وشابا من أهله فيقتلهما ويجعل العيدان في دبرهما ويصلبهما للناس، ويقول: هذا عليّ وهذه فاطمة، ويخرج رجل من جهينة يقال له: ناجية، فيصل إلى مصر فويل لأهل مصر، وويل لأهل دمشق، وويل لأهل أفريقية، وويل لأهل الرملة لا يـدخل بيت المقدس، ويمنعه اللّه منه، وأما سجستان فرياح تعصف أياما بظلمة شديدة، وهذه تنصدع لها الجبال، ويموت فيها عالم كثير، وأما كرمان وأصفهان وفـارس فيقبل إليهم عدوهم، فإذا قربوا منهم يصيحون صيحة تنخلع لها القلوب وتمـوت الأبدان ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ عن ابن مـسعود ﷺ قال: ما أهلك اللّه أهل قرية قط حتى يظهر فيهم الربا والزنا، قال وهـب: خـراب الأندلس والجزيرة من سنابك الخيل، وخراب العراق من قِبَلِ الجـوع والـسيف، وخراب الكوفة من قبل العدو، وخراب الري من الديلم، وخراب خراسان من تنبت، وخراب تنبت من قبل السند، وخراب السند من قبل الهند، وخراب اليمن من قبـل الجراد والسلطان، وخراب مكة من قبل الحبشة، والمدينة من الجوع حتى ينزلـوا بلدا من بابل – مدينة الزوراء – فيقاتلون أهلها أربعة أشهر فيبلغ الفقيـر مائـة دينار. تم كتاب عجائب الدنيا.